

٢- التفريب

الأمانة، الأمانة.

عرضها الخالق - عز وجل - على السموات
والأرض فأبين أن يحملنها، وأشفقن منها،
وحملها الإنسان؛ إنه كان ظلوماً جهولاً.

والعقول، العقول؛ إنها أغلى الأمانات،
وأعزُّ البضاعات. كيف يرعاها المعلمون؟

سألتُ خبيراً فرنسياً، زارَ وزارةَ المعارف في
سنة خلت، عن الامتيازات التي تمنحها فرنسا
للمُعَلِّمين، فقالَ ذلكَ الخبيرُ - بكلِّ فخرٍ
واعتراز: لقد منحتْ حكومةُ فرنسا المُعَلِّمينَ

حقَّ الامتيازِ العقليِّ، وهذا أعلى وسام،
وأشرفُ تاج.

وإني أتساءلُ: هل يا ترى يرعى المعلّمون
هذا الامتيازَ؟ وهل يحفظُ المدرسون هذه
الأمانة؟

يَقيني أَنَّ الكثيرَ منهم يستشعرُ هذا الهمَّ،
ويعي هذه المسؤوليةَ، ويقدرُ هذه الأمانةَ.

وأجزمُ أَنَّهُم يُلومُونَ المسؤولينَ في وزارةِ
المعارف والقياديينَ في إداراتِ التَّعليم حينَ
يَسْمَعُونَ بذلك المعلِّمَ الذي يحضرُ إلى
المدرسة، ويدخلُ الفصلَ، ويغلقُ البابَ، ثُمَّ

يُغْطِّي وَجْهَهُ بِالْغُتْرَةِ وَيَنَامُ.

وَكَأَنِّي بِهِمْ يَقُولُونَ: وَيْلٌ لَكُمْ؛ لِمَ تَتْرَكُونَ
هَذَا الْفَاشِلَ مَعَ فَلَذَاتِ الْأَكْبَادِ؟! وَكَيْفَ تَأْمَنُونَ
هَذَا السَّارِقَ، سَارِقَ الزَّمَنِ عَلَى تِلْكَ الْعُقُولِ؟!

وَلِمَ لَا تَحَاسِبُونَ هَذَا الْمَقْصُرَّ؟ إِنَّهُ لَا مَكَانَ لَهُ
بَيْنَنَا مَعِشَرَ الْمُعَلِّمِينَ. أَبْعِدُوهُ، أَزْجُرُوهُ، حَوِّلُوهُ.

وَلَقَدْ فَعَلْنَا؛ فَمِثْلُ هَذَا الرَّجُلِ لَا مَوْقِعَ لَهُ فِي
الْمَدَارِسِ، وَعَيْبٌ أَنْ يَكُونَ مَعَ التَّرْبَوِيِّينَ؛ فَلَمْ
يَرَعْ الْأَمَانَةَ، وَلَمْ يَصُنْ الرِّسَالَةَ، وَلَمْ يُقَدِّرْ
الثَّرْوَةَ، وَلَمْ يَحْفَظِ النِّعْمَةَ.

وَأَحْمَدُ اللَّهِ أَنَّ هَذِهِ مِنَ الْحَالَاتِ النَّادِرَةِ،
وَلَكِنْ يَجِبُ عَلَى الْعَامِلِينَ فِي الْمَيْدَانِ أَنْ

يتماسكوا، وأن يتعاونوا لإصلاح الخلل، ونفّي
الخبث.

إن السفينة برّكائها، والمدرسة برّجالها،
والتعليم بالقائمين عليه.

وإنّه متى ما شعرَ المقصّرُ أنّ مديرَ المدرسة
يراقبه، وأنّ زميله المعلم الآخر يحاسبه، وأنّ
الطالب يقومّه، وأنّ البيت يتابعه، وأنّ المشرف
التربوي يزوره فإنّه لا شكّ يستقيم ويستيقظ، أو
يتحوّل ويتعدّد.

وأذكرُ أنّه في الشهرِ الثاني من العامِ
الدراسيِّ ١٤٠٣ هـ زارني مديرُ مدرسة (ع،م)
الابتدائية الواقعة في حيّ ابن دايل بجنوب

مدينة الرياض.

وكانت المدرسة تشغل مبنى مستأجراً في ذلك الوقت، واشتكى من أحد المدرسين، وذكر أنه يتأخر كثيراً، ويغيب في بعض الأيام. وعرض بعض المحاضر التي تؤكد قوله.

وكلفت التوجيه التربوي بدراسة الأمر وزيارة المدرسة وإعداد تقرير عن المذكور.

وقام الموجهون بتقويم ذلك المعلم، واتفقوا مع مدير المدرسة في رأيه، ولكنهم ذكروا أن الرجل متمكن من مادته، قوي في أدائه، لكن العيب في تأخره وغيابه.

واقترحوا حسم الغياب عليه، ولفّت نظره
والحزم معه. ووافقهم على ذلك، وطلبت منهم
أن يستدعى في إدارة التعليم بحضور مدير
المدرسة، وأن يؤخذ عليه التعهد بالالتزام
والنظام، وأن يفهم أنه تم تكليف لجنة بمراقبته
ومتابعته.

وهافتُ رئيس التوجيه التربوي، وطلبتُ
منه أن يتم هذا التعهد في مكتبه.

وبعد شهرٍ أخبرني مديرُ المدرسة أن المعلمَ
على طبعه لم يتغيّر، فطلبتُ منه الحضور إلى
مكتبي مع ذلك المعلم، وكلفتُ مديرَ مكتبي أن

يهاتف ذلك المعلم، ويؤكد عليه الحضور لإدارة
التعليم لمقابَلتي.

وحين زارني نصحتُه ورجوتُه، وخوفتُه
وحذرتُه، وقد أبدى أسفه، وطلب أن نمنحه
مهلة، وأن نتجاوز عن هفوته.

واستجبت لطلبه، بعد أن كتب تعهداً
بالانضباط والالتزام، وقلت له:

مَنْ زعيمك؟

قال: لَمْ أفهم ماذا تريدُ.

قلتُ: أَلَمْ تقرأ قوله تعالى في سورة يوسف
عليه السلام: ﴿قَالُوا نَفَقْدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلِمَنَ

جَاءَ بِهِ حِمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿١٠﴾ . أريدُ زعيمًا
يُضْمِنُكَ وَيَكْفُلُكَ.

قال المديرُ: أنا كفيلٌ له هذه المرة.

قُلْتُ: لا مانعَ . ولكن اعلمُ أنني سوفَ
أُتَابِعُكَ شَخْصِيًّا، وسوفَ أَزُورُ المدرسةَ بينَ
الحينِ والآخرِ لمراقبتِكَ.

وخرجَ الرجلانِ، ولكنْ بعدَ مدَّةٍ جاءني
مديرُ المدرسةِ، وأخبرني أنَّ المعلمَ المذكورَ عادَ
لطبيعِهِ وتأخَّرَهُ.

وعندَ ذلكَ أصدرنا في إدارةِ التَّعليمِ قراراً

بنقله إلى أبعد مدرسة تابعة للإدارة، وكانت مدرسة صحراوية، طريقها غير مُعبّد، وتبعد أكثر من مائتي كم عن مدينة الرياض.

وكُنّا نرجو أن لا يستجيب للنقل، وأن ينقطع مدة خمسة عشر يوماً ونفصله؛ فالنظام في ذلك الوقت لا يسمح بالفصل إلا إذا غاب الموظف خمسة عشر يوماً متصلةً.

وقد أحسنت الوزارة صنعاً حين طالبت بفصل المعلم إذا غاب أثناء العام الدراسي خمسة عشر يوماً متصلةً، أو ثلاثين يوماً منفصلة؛ ففي هذا القرار علاجٌ لأولئك المقصرين. وأحمدُ الله أن الموافقة السامية

صدرتُ باعتمادِ هذا القرارِ الذي يجري تطبيقه حالياً.

المهمُّ أنَّ ذلكَ المعلمَ وصلَّه القرارُ، وعليه التنفيذُ فوراً، وجاءَ للمراجعة ولم أستقبله. وأفهمه مديرُ المدرسة والموجهون أنَّ عليه المباشرة في المدرسة الجديدة.

ورفضَ الرجلُ، وجاءَ بالخطابات من هذا وذاك، وتوالَت الشفاعاتُ والوساطاتُ فلم نستجب.

ثم تلا ذلك وفودٌ إثر وفود من وجهاء المجتمع، وكلُّهم يرجونَ منحه فرصةً ويطلبونَ

إِعْطَاءَهُ مُهْلَةً فَأَفْهَمَتْهُمْ مَا عَلَيْهِ، وَمَاذَا عَمَلْنَا
مَعَهُ، وَرَجَوْتُهُمْ أَلَّا يُحْرِجُونَا فِي هَذَا الْأَمْرِ.

ثُمَّ جَاءَ أَقْرَبَاءُ الْمَذْكُورِ، وَإِخْوَةٌ لَهُ وَطَلَبُوا
تَعْدِيلَ الْقَرَارِ لِمَدْرَسَةِ أُخْرَى دَاخِلَ الْمَدِينَةِ
وَالْحَوَا، فَوَضَّحْتُ لَهُمْ مَوْقِفَ الْإِدَارَةِ، وَأَنَّهَا
تَرَاخَتْ مَعَ الْمَذْكُورِ، وَسَوِّفْتُ فِي الْمَعَالِجَةِ. وَمَا
ذَنْبُ أَوْلَيْكَ الطُّلَابِ؟ فَهُمْ أَمَانَةٌ، وَلَمْ يَرَعْ
حَقَّهُمْ، وَلَمْ يَحْفَظْ وَاجِبَهُمْ.

إِنَّ الطُّلَابَ صَامِتُونَ، وَهَذَا الْمَعْلَمُ يَجَادِلُ،
وَالطُّلَابُ لَا أَحَدٌ يُحَامِي لَهُمْ، وَلَا فَرْدٌ يَتَوَسَّطُ
لِحُقُوقِهِمْ، وَهَذَا الرَّجُلُ جَاءَنَا الشَّفَاعَاتُ

والوساطاتُ فيه. وأظهرتُ لهم الحزمَ والجدَّ
والإباءَ والرفضَ.

ومضتُ عشرةَ أيامٍ والرجلُ يترددُ، وكلَّما
يُسَّ من هذا جاءَ بذاك، وكلَّما صرفنا هذا
أحضرَ ذاك.

وضاقتُ بي الحالُ، وسئمتُ من كثرة
الزوار، وعجبتُ كيفَ تعاطفَ هؤلاء القومُ معَ
هذا المقصرِّ! أهو قويُّ الحُجَّة؟! وهل هو فصيحُ
العِبارَةِ؟! وكيفَ رانَ على أولئك قصوره ولم
يسألوه ويحاسبوه؟

وفُوجئتُ في اليومِ الثالثِ عشرَ بالمعلِّمِ

المذكور يكتب رسالةً، ويأتي بها قريبٌ له كبيرٌ
في السن، وعليه سيما الصلاح والوقار.

وقبل أن يناولني الرسالة خوّفني الرجلُ
بالله، ثم صار يتهلُّ إلى الله، ويحذّرني من
الظلم، وأنَّ في إجرائنا خشونةً وقسوةً، وتسليطاً
وفظاظَةً.

وقلتُ له: على رسلك؛ لم نَظلمْه، ولم
نخذله، وهو البادئ، وهو المقصر، لم يحفظِ
الرسالة، ولم يرعِ الأمانة.

قال الرجلُ: مهْما يكنُ من أمرٍ عليكم
بالصبرِ والحلم.

قلتُ: لا بدَّ من تنفيذ القرار، ونحنُ ننتظرُ
إكماله الخمسة عشر يوماً لفصله.

ثم قال: أرجو أن تسمحَ لذلك المعلم
بالحضور، فهو يجلسُ مع المراجعين. فأذنتُ له.

وسلّمني الرجلُ الرسالةَ المكتوبةَ التي
يحملها، وحينَ قرأتها عرفتُ أنَّ المعلمَ المقصودَ
يخوفُني بالله، ويذكّرُني بالظُّلمِ وعواقبه، وقلتُ
لهما: لا بدَّ من المباشرة، وسوف أكلّفُ
الموجّهينَ بالتناوبِ على زيارة تلك المدرسة،
وسوف أتابعُك يا محمدُ - وهو اسمُ ذلك المعلم
- شخصياً.

واستدارَ الرجلان، وخرجا وهما يرفعان الصوتَ بالدُّعاءِ عليَّ، ويُريدان أن أسمعَ، وقد قلتُ في نفسي: إنَّ الدعاءَ على قَدَرِ المَظْلَمَةِ، وإنَّ الظلمَ هو في بقائِكَ وعدمِ محاسبتِكَ.

واستدعيتُ مَديرَ المدرسةِ المنقولِ إليها، وأفهمتهُ بوضعِ هذا المَعلِّمِ، وشاركتَه في وَضْعِ جَدولِهِ في تلكِ المدرسةِ، وطلبتُ من المَديرِ إبلاغِي أولاً بأولٍ عن دوامِهِ وأدائِهِ.

ولمَّا يئسَ، وعرفَ الجَدَّ باشرَ في اليومِ الرَّابِعِ عَشَرَ، وانقطعتْ أخبارُهُ، وبعدَ شَهرٍ زارني مَديرُ المدرسةِ الجَديدةِ. وأخبرني أن الرجلَ منضبطٌ

وأنه ملتزمٌ. وانتهى العام الدراسي، ووصلني تقريران من موجهين مختلفين زارا تلك المدرسة، وأشادا بذلك المعلم، وحسن أدائه وانضباطه، فحمدتُ الله على ذلك.

وبدأ العام الدراسي الثاني، ولم يراجع، ولم يتقدم بطلب للنقل، ورغب في تلك الهجرة النائية، وسرّني ذلك.

وحين انتهى العام الثاني، وفي ذات يوم وبعد صلاة الظهر، إذا بي أجدُ ذلك المعلم ومعه صاحبه الذي خوفنا، ودعا علينا، أراهما مع المراجعين، وعرفتُ أنهما يرغبانِ المقابلة على

انفراد. وبعدَ انتهاء أصحابِ الحاجاتِ قامَ
الرجلان، وأسرعَا يقبَّلانِ رأسي، ويدعُوَانِ لي
بالصحَّةَ والعافية، ويطلبَانِ مِنِّي السماحَ لهما
على تطاولِهما وتجاوزِهما في القولِ والعتابِ.

قلتُ لهما: وما الحكايةُ؟!

قالَ الصَّاحبُ: نحمدُ اللهَ أنَّ المعلمَ محمداً
بقي في الهجرة عامين وقد نال إعجابَ أهالي
القرية وحصل على تقارير ممتازة.

ثم قالَ المعلمُ: لقد كنتُ ضوئاً في تلك
الهجرة، وشعرتُ بقيمتي وقَدري، وعرفتُ
واجباتي وتفريطي.

ثم قال: إِنِّي أَصَدُّكَ الْقَوْلَ، لَقَدْ كُنْتُ فِي
مَدْرَسَتِي الْأُولَى بِحِي بن دَايِل أَتَأَخَّرُ كَثِيرًا،
وَالسَّبَبُ هُوَ سَهْرِي مَعَ رِفَاقِ يَسْهَرُونَ،
وَأَصْحَابِ كَادُوا يَضِيعُونَ وَظِيفَتِي وَيَشْتَتُونَ
أَسْرَتِي.

وَلَمَّا ذَهَبْتُ إِلَى تِلْكَ الْقَرْيَةِ صَحَبَتْنِي الزَّوْجَةُ
وَالْأَطْفَالُ، وَصَرْتُ إِمَّا فِي الْمَدْرَسَةِ أَوْ مَعَ
أَسْرَتِي، وَابْتَعَدْتُ عَنْ أَوْلَئِكَ الْفَرِاقِ الَّذِينَ
كَانُوا السَّبَبَ فِيمَا حَصَلَ.

قُلْتُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ. وَإِنْ رَغِبْتَ النُّقْلَ فَاخْتَرِ أَيْةَ
مَدْرَسَةٍ بِحَاجَةٍ إِلَى مَعْلَمٍ فِي مَدِينَةِ الرِّيَاضِ

وَسَوْفَ نَلَبِّي رَغْبَتَكَ، وَنَسْتَجِيبُ لَطَلْبِكَ شَرِيطَةً
أَنْ لَا تَعُودَ لِأَوَّلِكَ الْمَعْشَرِ.

ثُمَّ قُلْتُ لَهُ: لَقَدْ غَرَّبْنَاكَ وَأَبْعَدْنَاكَ، فَكَانَ فِي
ذَلِكَ صَلاَحٌ لَكَ وَتَقْوِيمٌ. وَقَدْ وَرَدَ فِي الْإِسْلَامِ
التَّغْرِيبُ وَالْحُكْمُ بِهِ فِي بَعْضِ الْحَالَاتِ، وَقَدْ
جَرَى نَقْلُهُ إِلَى الْمَدْرَسَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا فِي مَدِينَةِ
الرِّيَاضِ. وَأَسْأَلُ اللَّهَ لَهُ التَّوْفِيقَ.